

في  
التنوير الإسلامي

﴿ ٣١ ﴾

# الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

تأليف :

د . محمد خاتمي

# الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية



مكتبة  
الشيخ  
محمود  
محمود

مكتبة  
الشيخ  
محمود  
محمود

تأليف:

د. محمد خاتمي



مكتبة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد الزاوي سنة ١٩٧٨

اسم الكتاب: الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

اسم المؤلف: د / محمد خاتمي

تاريخ النشر: فبراير ١٩٩٩ م . (طبعة أولى)

رقم الإيداع: ١٧٣٧ / ١٩٩٩ م .

الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0901 - 8

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٨. المنطقة الصناعية الرابعة .

مدينة السادس من أكتوبر .

ت: ٢٣.٢٨٧ / ١١ . (١٠ خطوط)

فاكس: ١١/٢٣.٢٩٦ .

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

ت: ٥٩.٩٨٢٧ - ٥٩.٨٨٩٥ / ٢ .

فاكس: ٥٩.٢٣٩٥ / ٢ . ص.ب: ٩٦ الفجالة

إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٢ .

فاكس: ٢/٣٤٦٢٥٧٦ . ص.ب: ٢٠ إمبابة .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

صاحب هذا الكتاب لم يعد فى حاجة إلى تعريف . . فهو الدكتور محمد خاتمی ، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والذي أحدث اختيار الشعب الإيراني له - بأغلبية كبيرة - هزات وتسؤلات وتنبؤات وتطورات فى الحياة الداخلية بإيران ، وفى العلاقات الإيرانية بدول الجوار والمحيط - العربى والإسلامى - وفى العلاقات الإيرانية - الدولية ، لاتزال متنامية حتى الآن . .

والدكتور خاتمی ، لقبه المفضل والأشهر «سيد» محمد خاتمی ، لأنه - وفق التقاليد الشيعية - من «السادة» ، أى آل بيت رسول الله ، عليه السلام . . ولد سنة ١٩٤٣م بمدينة «أردكان» ، فى أسرة متدينة ، لوالده هو آية الله روح الله خاتمی . . وجمع فى دراسته بين أصول الفقه والفلسفة والتربية . . وشملت اهتماماته علوم الحديث وفلسفة هيجل وماركس . . وإلى جانب الفارسية أتم باللغات العربية والانجليزية والألمانية . . ولأنه قد جمع بين الثقافة الدينية والثقافة المدنية ، عندما تعلم فى «الحوزة» العلمية بمدينة «قم» الإيرانية ، ودرس فى جامعة طهران ، وتخرج منها . . فلقد تميزت رؤيته الفكرية بالأصولية الدينية المستنيرة ، ورؤية الحضارة الحديثة ، بتياراتها الفلسفية والاجتماعية والثقافية المتعددة . فهو يرى العالم من موقع العالم الدينى ، ويرى التراث الدينى من موقع المثقف المتفتح على ثقافات العالم ، وبذلك تميزت وتتميز رؤيته الفكرية

عن أولئك الذين أصابهم «العور الفكري» ، فلا ينظرون إلا بعين واحدة : عين «الموروث» وحدها . . أو عين «الوافد» دون سواها! . .  
لذلك كان الرجل نموذجاً «لإسلامي» الذي لا يخاضع للعالم ،  
و«للعالمية» المنظور إليها من خلال حضارة الإسلام .



أما الدراسات الثلاث التي نقدمها - للدكتور خاتمي - في هذا  
الكتاب ، فهي - في الأصل - ثلاث محاضرات ألقاها في «لبنان» -  
قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية الإيرانية .

أولاهـا: عن (الدين والعصر) .

والثانية: عن (التراث والحداثة والتنمية) - ألقاها في شهر  
ديسمبر سنة ١٩٩٦ م .

والثالثة: عن (التنمية والحرية) - ألقاها في صيف سنة ١٩٩٥ م .

ولقد اخترنا هذه المحاضرات الثلاث من بين عدد أكبر من  
محاضرات الدكتور خاتمي<sup>(١)</sup> - لأن موضوعاتها من أكثر الموضوعات  
حساسية وإثارة للجدل بين تيارات الفكر في وطن العروبة وعالم  
الإسلام . . ولأن هذه المحاضرات هي من بين ما ألقاه الدكتور  
خاتمي خارج إيران ، ففيها كان خطابه لجمهور مفكرى الأمة  
ومثقفىها، وليس - كمحاضرات له أخرى - ألقى في إيران فجاءت  
محكومة بالموروث الشيعي وحده . أو أكثر من غيره . وموجهة إلى

(١) ولقد سبق ونشرت هذه المحاضرات ، ضمن كتاب عنوانه (مطالعات في الدين والإسلام  
والعصر) ، قدم له السيد محمد على أبطحي . وطبعته دار الجديد سنة ١٩٩٨ م .



جمهور الشيعة دون غيرهم، أو قبل غيرهم من المفكرين والمثقفين في  
عالم الإسلام ..

لذلك، سيجد القارئ لهذه الدراسات نفسه أمام عالم إسلامي،  
لا يحبسه مذهب، ويخاطب الأمة، لا شعباً بعينه، ولا دولة قطرية  
بذاتها.. كما سيجد القارئ نفسه بإزاء مصلح إسلامي، ملتزم بأصول  
الإسلام، وبمنظاره يرى العالم بأسره، كما يرى الإسلام في ضوء  
القضايا والتحديات العالمية التي تواجه الإسلام والمسلمين.



ورغم أن أهمية الأفكار والقضايا التي تناولها الدكتور خاتمي في  
هذه الدراسات .. والوضوح الذي امتاز به عرضه لهذه القضايا،  
يغرينا بأن ندع القارئ وجهها لوجه مع هذه الدراسات، ودون  
مقدمات .. إلا أن قليلاً من الأضواء على الموقع الفكري للدكتور  
خاتمي، وعلى القضايا التي تناولها في هذه الدراسات قد يكون  
ضرورياً في التعريف، وفتح الأبواب لجمهور القراء ..

● فالدكتور خاتمي يضع نفسه - كما يضعه فكره - في «المدرسة  
الإصلاحية الإسلامية» .. لكنه يتميز بين رجالات الإصلاح  
الإسلامي بالانتماء إلى «المذهب العرفاني»، الذي يعتمد في  
تحصيل الحقيقة الدينية - وليس في دراسة الكون والاجتماع  
والسياسات - على «القلب»، القادر على «الوصول» إلى المطلق  
واليقين .. ولكن دون نبذ «للعقل»، الذي هو سبيل الوصول إلى  
أصل الوجود الغيبي، وبه تتيسر الحياة .. فعنده «أن السبيل  
المطمئن لمعرفة الله عز وجل، هو طريق الوصول لا الفهم، وطريق

القلب لا العقل. هو الطريق الذي أكدته الأديان بقوة. ولقد علّمتنا أئمة الإسلام بأن «العقل ما عُبِدَ به الرحمن واكْتُسِبَ به الجنان» وهذا يعني أن العقل هنا هو مصدر عبادة لا مصدر فهم. وفي قول آخر، رأوا العبادة سبيلا إلى اليقين، وليس الانتقال من المقدمات المعلومة إلى النتيجة المجهولة، ودليل هذا ما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(١)</sup> وهذا يعني أن الطريق المطلوب للمعرفة الدينية الإلهية هو طريق الوصول لا الفهم.

وهذا، بطبيعة الحال، لا يعني، بأي وجه، التناكر لقوة العقل والمعرفة الفلسفية والعملية، وخاصة في الإسلام، الذي اهتم إلى حد بعيد، بالعقل وبالتدبر، ولكن لا بد من معرفة حدود كل بُعد من أبعاد روح الإنسان، ومن أراد أن يكون مؤمنا صادقا فلا بد له من سلوك طريق القلب<sup>(٢)</sup>... إن العقل هو المشترك بين الناس. وهو لا يستطيع إيصالنا إلى الحقيقة المطلقة.. ونحن لا نستطيع بلوغ الكنه المطلق بالعقل، وقد ذكر العارفون أن ما يفهم من العقل كمصطلح يقوم بهذا الفهم في المطلق. هو القلب، لا العقل.

وهنا تعرض مسألة دقيقة لا بد من جلاؤها. فنحن إما أن نبقى على سلطان العقل من البداية، وإما أن نضعه ونضع الإيمان في مقابله، فإخذ هذا الإيمان الموضوع مقابل العقل في توجيه الإنسان أولا فإلا نحو الإيمان الكلي، ومن هنا يكون السلطان للقلب، كما عرفه العارفون،

(١) الحجر : ٩٩.

(٢) العبارة القادمة من حوار مع د. خاتمي، أجرتة وأذاعته محطة «تلغراف المنارة» اللبنانية في ديسمبر سنة ١٩٩٦ م.



ويكون له وحده أن يقودنا إلى عالم ما وراء الطبيعة، بأن الوجود أكبر من المادة وأعم، وأن ثمة غيباً في مقابل الشهود، وهى الأبواب التى يدخل منها القلب.

وإذا قبلنا بالعقل والقلب فإننا نستطيع بلوغ الإيمان، ولكننا إذا نبذنا العقل قلن نلبث أن نخرج الدين من ساحتنا بعد مدة قصيرة، لأن العقل آلة لا تيسر الحياة من دونها.. فنحن بالعقل نصل إلى أصل الوجود الغيبى، وبه نرسخ الفهم عن الوصى<sup>(١)</sup>. ومن ثم تكفيينا الرياضة. ومجاهدة النفس للمضى قدما نحو الحقيقة. بيد أننا عندما نريد فهم الكون والوحي فإننا نتوسل بالعقل وسيلة، ولكن مع ملاحظة أن استنتاجاته نسبية، الأمر الذى يحفظنا من الظن مثلاً أن ما نفهمه من القرآن والسنة هو عين الحقيقة.

إن بوسعنا، فى أزمنة متعددة وفى أماكن مختلفة، أن نصل بالعقل إلى أكثر من فهم للنص، وهو أمر يتفق وجوهر الدين الذى يؤكد أن فكرنا الدينى متطور ومتغير دائماً...

وغنى عن البيان، أن هذا الطريق - طريق الوصول لا الفهم - والذى سلكه ويسلكه أصحاب «المذهب العرفانى»، هو طريق حق وصعب فى ذات الوقت، لا ينكره عاقل، لكنه ليس الطريق العام الميسور الذى يستوعب الأمة.. فالعقل الذى «تترطب» معارفه بالقلب، والقلب الذى تضبط بواطنه وإلهاماته وهياته بالعقل، هو طريق الشريعة والجمهور.. صحيح أن هناك من يصل إلى سقف

---

(١) الوصى - فى عقائد الشيعة، التى يختصون بها، وتختلف فيها كل مذاهب أهل السنة - هو الإمام المعصوم.



الحقيقة المقدورة للإنسان بالعقل وحده.. ومن يصل إلى هذا السقف بالقلب وحده.. لكن هؤلاء وهؤلاء من الندرة بحيث يشير إليهم الزمان بأصابع الأجيال! - كما كان يقول الإمام محمد عبده.. عليه رحمة الله.

● والدين - الذي خصه الدكتور خاتمي في هذه الدراسات بمحاضرة كاملة - هو: المقدس ، المتسامي ، المتعالي . . . وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، والتي بدونها لا معنى لحياة الإنسان . . . فالدين توأم الإنسان ، وأقدم الموجودات البشرية . وحياة الإنسان من غير دين ومن دون التسليم لأمر متعال وسام لا معنى لها.. فجوهر الدين مقدس متعال ، ولو جُرد الدين من القداسة والسمو لخرج عن كونه ديناً..

● ولأن «الدين» وضع إلهي ثابت ، ومقدس ، ومتسام ، ومتعال . . . تميز - في الرؤية الإسلامية - عن «الفكر الديني» ، الذي هو اجتهادات بشرية - ظنية - والذي يمثل رؤية العلماء والمفكرين للوحي وللكون ، ولعلاقة الأحكام بالواقع الذي يعيش فيه هؤلاء المفكرون والعلماء . فالتمييز بين الدين وبين الفكر الديني ، ضرورة لتمييز «الإلهي» عن «البشري» ، والمقدس عن مالا عصمة له ، كما هو شرط لتطور الذي يواكب المستجدات والتغيرات . ومن هنا ، تتلخص خدمة الدين . في عصرنا . في التمييز ، بشجاعة ، بين جوهر الدين كشأن مقدس ومتسام ، وبين تصورات الإنسان عنه ، والتي هي أمر محدود ونسبي ويدركها التغير . وبذا تظل للدين منزلته المقدسة في أعماق أفئدة المؤمنين ، وتفتح ، من جهة أخرى ، آفاق التحول الإيجابي في الفكر الديني... وإذا حلت التقاليد وحل فهم الإنسان

المحدود محل الموضوعات المقدسة والمتسامية، ففي هذه الحالة سيعبد أى نوع من الاعتراض على هذا الفهم والعرف بدعة وخروجاً على الدين، وعندها تُمسى محاربة المبتدع أمراً مقدساً وسامياً...

● وتراث الأمة هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للحضارة والأمة، وهو سبب تميز ثقافة الأمة عن ثقافات الأمم الأخرى... لكن هذا التراث يجب أن لا يكون عقبة أمام التغيير والتقدم والتجديد، وإنما يجب أن يستند إليه ويرتكز عليه أى تغيير... فلا يجب تحويل التراث إلى عقبة أمام التغيير... ولا يصح أن يتم التغيير بمعزل عن التراث... ذلك أنه «هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للأمم، وخاصة الأمة التى لها حضارة متميزة وثقافة غنية. فالتراث تجل لثقافة المجتمع، ولا مجتمع من دون ثقافة... والقضاء على التراث يعنى مصادرة أساس الهوية التاريخية والثقافية للأمة والقضاء عليها.

وإذا ما قدر لأمة أن تتغير، فإنه ينبغى لها فى البدء أن تستشعر وجودها وشخصيتها من خلال ارتكازها إلى هويتها التاريخية، لئلا تتمكن من الانطلاق منها... ألم يستيقظ الغرب بفضل عودته إلى التراث، إذ أعاد المفكرون إلى التراث اليونانى، الفكرى والفنى، وإلى تراث روما الاجتماعى، عصر النهضة، كما أعاد المتدينون إلى ما كانوا يعتبرونه حقيقة دين المسيح الحقيقى، عصر الإصلاح، وكانت هذه العودة ذاتها مصدر إلهام لعصر البناء والإعمار.. فلا مفر من الاتكاء على التراث حتى فى الصراع معه.. والنهج السليم هو أن تكون لنا مساهمة واعية حذرة فى عملية التغيير والتحول، وفى إعادة صياغة التراث باعتباره موضوعاً بشرياً.. والحذر من اعتبار التراث أمراً مقدساً لا يحتمل التغيير...



● أما «الحداثة» - التي شغلت فضاء ثقافتنا ، ودار الجدل حولها منذ أكثر من قرن من الزمان - فإنها هي ثقافة الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة ، التي تميزت عن ثقافتنا الإسلامية ، بل وعن ثقافة أوروبا في العصور الوسطى الأوروبية ، «بالمحور حول الإنسان» ، بدلا من «المحور حول الله» .

فالحداثة لفظ يراد به التحولات التي جرت في الغرب في العصر الأخير من تاريخ الإنسان، وبالتالي يمكن القول، بتعبير أدق، إن الحداثة روح الحضارة الجديدة، والثقافة المنسجمة معها.. فلكل حضارة ثقافتها التي تنسجم معها... والاختلاف والتباين بين ثقافتنا الحالية، التي تتمحور حول الله، وبين ثقافة الحداثة الغربية، المنسجمة مع الحضارة الغربية، التي تتمحور حول الإنسان، إنما هو اختلاف جوهري في جنس الحضارات..

لقد كانت ثقافة العالم الإسلامي وثقافة الغرب القروسطية، على نحو ما، نوعي جنس واحد، إن لم نقل إنهما صنفان نوع واحد، وكان أبرز وجود الشبه بينهما هو محورية الله في فكر الإنسان واعتقاده وفي نظامه الفكري والأخلاقي والعائلي.. ونقد حارب الغرب ثقافته القروسطية هذه، وكان من نتيجة حربه عليها ظهور حضارته الحديثة وثقافته الحديثة، التي تبوأ الإنسان سدة المحورية فيها.. فكان ذلك التحول.. من محورية الله إلى محورية الإنسان، أبرز وجود الاختلاف بين ثقافتنا وتقاليدنا الثقافية وبين ثقافة الغرب وحضارته الحديثة...

● والتنمية - كما جاءتنا من الغرب .. وكما يطرحتها ويتحاور فيها ويتجادل حولها مثقفون الذين ينطلقون من منطلقات فكرية

واجتماعية واقتصادية وسياسية غربية . . . هذه التنمية - في رأى الدكتور خاتمي - هي نموذج غربي متميز ، لأنها هي عطاء الحضارة الغربية ، ذات الثقافة الحداثية ، المتمحورة حول الإنسان ، بدلا من الله . . . فنموذج هذه التنمية هو خصوصية غربية ، وليس بالنموذج العام أو العالمي ، الذى يجب أن تسلكه الحضارات والثقافات غير الغربية . . . وإذا كانت «الحداثة» - أى الثقافة المتمحورة حول الإنسان - هي روح الغرب الحضارى ، فإن «التنمية» التى جاءتنا مع حداثته ، هي عطية هذا الغرب الحضارى ، دون غيره من الحضارات . . .

إن مجتمعاتنا بحاجة إلى التحول والتكامل. ولكن علينا أن نعلم أن التنمية، بمعناها الغربى، ليست أكثر من منهج فى التحول، ناهيك أنها ليست المنهج الوحيد.. ونحن اليوم نحيا فى عصر اتضحت فيه، أكثر من أى وقت مضى، نقاط ضعف الحضارة الحديثة وروحها: الحداثة، ليس خارج العالم الغربى فحسب، بل داخل الغرب أيضا. نحن نحيا فى عصر شكك الحداثيون أيضا فى شمولية الحضارة الغربية وقدرتها على تحقيق النهاية المرجوة، والأخذ بالبشرية إلى بر الأمان.

إن وعى هذا الأمر يقودنا إلى الامتناع عن التسليم الأعمى لمعايير التنمية الغربية.. إن التنمية التى تُطرح فى هذا العصر هي شأن غربي، وهي تنطوي على مفهوم صناعة أهل تلك الديار. فإذا كان المراد من التنمية مفهومها ذاك فلا مناص للراغبين بها من أن ينتحلوا الحضارة الغربية تلك.

أما بالنسبة لنا، فعند ما نطرح السؤال المعهود:



..ماذا علينا أن نفعل في مضمار التنمية؟

لا نستطيع، بل لا ينبغي لنا أن نعود القهقري ٤٠٠ سنة إلى الوراء، أي إلى نقطة البداية التي انبثق منها الغرب حتى وصل إلى حيث هو.. وإنما علينا، إذا ما كنا أهل تدبر واعتبار، أن نشق طريقنا إلى المستقبل، بملاحظة التجربة الغربية، فنبدل العناية بمزاياها ونواقصها، كي تتوفر على اختيار الأفضل وبلوغه.. ذلك أن الشرط في التحول الأساسي هو تجاوز الحضارة الغربية...

● أما الحرية - التي يتحدث عنها الجميع - . ويشتاق إليها الكافة . . ويختلف حولها الأكثرون! فإنها تعنى - في فكر الدكتور خاتمي - الحرية المسئولة عن ثوابت الأمة ، لا التي تعصف - باسم الحرية - بهذه الثوابت . . وهي أيضا تعنى المسؤولية الحرة لتغيير واقع الأمة الذي لا بد من تغييره وتجديده وتطويره ، وليست المسؤولية التي توقف عجلة التغيير باسم الحفاظ على التراث . . إنها ليست مجرد كلمة تقال . . وإنما لها ماهية . . ولها نموذج . .

، فما تعنيه بالحرية، بشكل دقيق، هو حرية الفكر، وتوافر عناصر الأمن في إبدانه، وتهيئة المقدمات اللازمة لتأمين تلك الحرية وضمان هذا الأمن.. إن التغيير والنقد ينبغي أن يُسبقا بالفكر، والفكر لا ينمو إلا في إطار الحرية وعلى أرضيتها.

إن تخريب القضاء الحياتي باسم الحرية، ومناهضة الحرية باسم الدفاع عن الدين ومصلحة البلد، هما وجهان لعملة واحدة.. إننا اليوم، في جامعاتنا وفي مدارسنا وفي بيوتنا، لا نتحمل بعضنا بعضا بسهولة وبساطة. فلا تشكو لحظة، في أننا ما لم نتغير من داخلنا، لا يسعنا أن نتنظر حل مشاكلنا من قبل الآخرين..

إن السبيل المطلوب والصواب هو أن تصل نخبة المجتمع وأن يصل مفكروه والمسئولون الذين ينشدون الخير في إدارة الأمور فيه، إلى ميثاق يتوافقون فيه على الآتى :

أولاً: علينا أن نكف عن البحث في العالم المعاصر عن مثال وحيد للحرية يتحول إلى نموذج يُقتَدَى، يصلح للتعميم على الأمم جميعاً..

ومع أن جوهر الحرية واحد، لكن ما أكثر الأمم والشعوب التى تستطيع أن تجرب وجوها مختلفة للحرية بلحظ تفاوت الأوضاع التاريخية. الاجتماعية، حتى يكون لها خيارات مختلفة فى طى طريق الحرية وتحديد أولويات مراتبها.

ثانياً: علينا أن نسعى لخلق جو نستطيع فيه أن يتحمل بعضنا بعضاً بسهولة، كما علينا أن نجتهد كي نصل إلى تعريف للحرية يرضى الجميع، وأن نتوافق على الحد الأدنى وعلى الأولويات، شرط أن نؤطر ذلك قانونياً...

● ولما كان الدكتور خاتمي قد امتلك ناصية الرؤية الإسلامية ، وأثر أن يرى الإسلام على خارطة العصر ، لا منعزلاً عن العصر .. ولما كان هذا العصر - بما فيه الواقع الإسلامى بل والفكر الإسلامى المعاصر - يعاني من الهيمنة الغربية ، ويشتبك مع المركزية الغربية ، ويتفاعل مع قطاعات من الفكر الغربى ، ويجاهد ليدفع عن ذاتيته الثقافية قطاعات أخرى من الوافد الفكرى الغربى .. لما كان هذا هو حالنا مع الغرب - المتعدد الوجوه - والذي غداً - بعد قرنين من الاستعمار لأغلب أقطار العالم الإسلامى والهيمنة عليها - يعيش



داخل عقولنا ، وليس فقط محتلا لأراضينا . . . كان لابد للدكتور خاتمي من أن يعرض لموقفه من الغرب ، ورؤيته للتعامل معه . . . ولقد رأيناه يؤكد على أن الغرب ظاهرة مركبة ، يجب أن نتعرف عليها ، لا لنقلدها كلها ، وأيضا لا لنقاومها كلها ، وإغا لنقاوم سلبياتها ، ولنستفيد مما فيها من إيجابيات . . . فمن النادر أن تجد شعبا أو بلدا غير غربي لم تُلْهب ظهره سياط ظلم الغرب السياسي والاقتصادي ، سواء في صورته الاستعمارية القديمة . التي نهبت ذخائر الآخرين المادية والمعنوية ، ودمرت البيئة ، وأشاعت روح الإعلام الكاذب ، والانتهازية ، وأدت إلى أفول بريق الكثير من القيم الإنسانية والمثل المعنوية والأخلاقية من واقع حياة الإنسان الذي بهرته الدنيا . أم عبر نزعة التسلط المعاصرة التي تركبه وتسيطر عليه .

بيد أن الغرب السياسي . الاقتصادي ، ليس إلا وجهها من وجوه الغرب ! فالغرب بأكمله هو حضارة ذات ثقافة خاصة ، وهذه الحضارة وهذه الثقافة قامت على مبادئ فكرية وقيمية خاصة ، ومن دون التعرف عليها والإحاطة بها ، تبقى معرفتنا بالغرب معرفة سطحية وظاهرية ومضللة . .

وينبغي علينا التنبيه واليقظة لدرء أخطار الغرب من جهة ، والاستفادة من إنجازاته ومعطياته الإنسانية من جهة أخرى وكل هذا ممكن إذا ما نضجنا فكريا وتاريخيا . ففي ظل ذلك تتوافر لدينا القدرة على التشخيص والانتقاء ، ويتوافر قبولنا بمسئولية اتقاننا واختيارنا . . .

● ولذلك ، اهتم الدكتور خاتمي بالحديث عن المواقف الفكرية . التي تبلورت في حياتنا الفكرية - إزاء الغرب . .

فأمام الحضارة الغربية ، وثقافتها الحداثية الوافدة إلى بلادنا ، فى ركاب الغزوة الاستعمارية ، تبلورت فى بلادنا الإسلامية تيارات فكرية ثلاث :

١. التقليديون. المتشبثون بالتراث: «وهم الذين أصروا دائما على التمسك بالتراث بكل أبعاده ووجوهه، أو لنقل، بتعبير آخر، أصروا على تقليدهم وتصورهم ذهنى وسلوكهم الذى اعتادوه، وكان بالنسبة لهم أمرا مقدسا فى مقابل التجديد أو الحداثة، واعتقدوا أن بالإمكان العيش فى إطار التقليد الضيق الموروث عن سلفهم بإيصاد الأبواب فى وجه أمواج الحضارة الغربية وثقافتها المندفعة...»

٢. والمتغربون. المقلدون للنموذج الغربى: «وهم الذين خيل إليهم أن الأزمة قابلة للحل من خلال قبول الحضارة الغربية بجميع أبعادها ومتطلباتها ومستلزماتها، بما فى ذلك ثقافة الحداثة.. وهؤلاء.. بتحقييرهم للتراث واستهزانهم به، بدلا من تحليله ونقده. تجاهلوا نفوذه الراسخ، ولم يتمكنوا، فى أى وقت، من الحصول على مواطن قدم فى مجتمع يعنى التراث ويأنس به.. فمكثوا فى عزلة موحجة، ولذلك تعلقوا. بدافع المحافظة على بقائهم. بأذيال الحكومات المستبدة، أو أمسوا، عمليا وعن وعى فى الكثير من المواقف، منفذين لتطلعات الغرب الاستعمارية فى بلدانهم...»

٣. والإصلاحيون: الذين يتعاملون مع التراث ومع الغرب الحضارى بمنهاج نقدى .. جعلهم يجمعون ، بالتجديد - المستصحب للشوايت ، والمجدد فى المتغيرات - كلا من مميزات التقليديين ومميزات الحداثيين ، دون سلبياتهما .. فهذا التيار الإصلاحي ينطلق من مبدأين :



«الأول: هو «العودة إلى الذات» وإحياء الهوية الثقافية» التاريخية  
لأمتهم وشعبهم.

أما الثانى: فيقول بـ«التعامل الإيجابى مع معطيات التمدن  
البشرى» وفى الوقت ذاته اتخاذ الحيلة والحذر فى مقابل نزع  
الفرب التوسعية وتوجهه الاستعمارى».

ولقد حدد الدكتور خاتمى للإصلاح - الذى يعد نفسه واحداً من  
تياره - شروطاً . . . فالإصلاح عنده ليس مجرد فكر . . . وإنما هو فكر  
تضعه «السياسة» فى الممارسة والتطبيق . . . فالإصلاح لا يتحقق  
إلا إذا تبعت السياسة والنشاط السياسى الفكر والحكمة، ولم يُبقيا  
نطاقاً مفروضاً على الأفكار . . .

والفكر، الذى هو شرط الإصلاح ، لابد أن يكون فكراً مبدعاً  
وإبداعياً ، لا مجرد تكرار للإبداعات التى تجاوزها الواقع ونسخها  
التطور ، وطوى العصر الجديد صفحتها . . . بل إن الإبداع - عند  
خاتمى - هو شرط صمود الهوية فى المواجهات الحادة أمام  
التحديات الشرسة التى تواجهها حضارتنا وثقافتنا . . . فالإبداع هو  
سبيل بلورة البدائل الإسلامية ، التى نملأ بها فضاءنا الثقافى ،  
حماية له من أن يملأه «الوافد» الضار . . . فالمجتمع الذى يفتقر إلى  
الفكر المبدع يفقد هويته فى أول مواجهة مع أية مشكلة . . . !



● وأخيراً . . . ينطلق الدكتور محمد خاتمى من هذه المعالم  
الفكرية ، التى قدمها حول (الدين . . . والتراث . . . والحداثة . . .  
والتنمية . . . والحرية) إلى نظرة مستقبلية ، تبشر بحضارة إسلامية

جديدة ، أو - بمعنى أدق - مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية .. فيقول :

«علينا، في سبيل تحديد معالم عصرنا الراهن، أن نتطلع إلى المستقبل، ولكي نتمكن من تصور مستقبلنا تصورا سليما ومقبولا، فلن يكون أمامنا خيار سوى أن نعي ماضينا ونألفه ونأنس به.. وأن نتسلح بنقد الحداثة والتراث معا، وأن نكون أصحاب رؤية جديدة في حياة الإنسان، في وقت نركز فيه إلى ماضينا الذي أنتج حضارتنا، وأن نستفيد. ونحن نتجاوز الغرب. من معطيات الحضارة الحديثة الباهرة، لاسيما وأننا نمتلك في التاريخ سابقة حضارية تركت بصماتها على مصير العالم والإنسان...».

فنحن «نتجاوز الغرب» ، دون أن ننغلق دونه فنرفضه جميعه .. و«نركز إلى ماضينا» ، دون أن نهجر إليه .. وإنما لنقفز إلى مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية ..



تلك إشارات إلى أهم القضايا المحورية التي تناولتها الدراسات الثلاث التي كتبها الدكتور محمد خاتمي ، والتي نقدمها إلى القراء .. أما الأفاق .. والتفاصيل .. ولبنات هذه الرؤية - الإسلامية ، الموضوعية والمشرقة ، فإننا نترك القراء وإياها في صفحات هذا الكتاب .

والله نسأل أن ينفع به .. إنه أفضل مسئول ، وأكرم مجيب .

دكتور / محمد عمارة



إلى القارئ العزيز . .

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث . .  
فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ،  
التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي ● د . محمد سليم العوا
- أ . فهمي هويدي ● د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقي ● د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيري ● د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين ● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين . .

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر